أَدَبُ الخِطَابِ القُرآنِيّ

دراسةٌ لغويةٌ بيانيةٌ

الدكتور

مازن عبد الرسول سلمان

قسم اللغة العربية

كلية التربية الأساسية – جامعة ديالى

تقديم :

الحمدُ لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد . . .

فليس من الغريب أن يكون للقرآن نظمٌ خاصٌّ ، وأسلوبٌ متميزٌ ، وطريقة فريدة في تأليف كلامه ، وانتقاء مفرداته ، وألفاظه ، واتّساق عباراته، وهو النصّ الذي أبدعه الخالق المتفرّد (عزّ وجلّ) ، وتكفّل بحفظه، وتحدّى البشر من الإتيان بآية من مثله .

ومن ملامح الإعجاز الذي لا ينقضي ولا ينفد للقرآن الكريم التأثير الذي أحدثه في النفوس والتغيير الذي أعمله في السلوك البشري . في طريقة خطابه، ونمط صوغ أفكاره ، وعرض أغراضه ومراميه . بما تضمّنه من كنوز العبر ، وأسرار التأثير الموصل إلى التغيير ، والمزايا الفاضلة ، والخلق الإنساني الرفيع بما يؤسّس دستوراً لتربية البشر ، ومنهجاً لتهذيب النفس ، وتقويم الأخلاق ، وتشذيب السلوك .

ومن خلال هذه المعطيات القرآنية تبرز صورة (الأدب) في خطاب القرآن ملمحاً من ملامح إعجازه . يعكس صورة من صور الإبداع فيه . ولمسة من لمسات التميّز ، والتفرّد ، وطريقة للتأثير المبتغى ، والتغيير المؤمَّل في النفس البشرية وصولاً إلى السموّ بها إلى الرفعة وعلوّ المكانة . وسبيلاً إلى تحقيق تلك الغايات العظيمة ، والسجايا السامية ، والمقاصد الأسنى.

وقد جاءت دراستنا هذه لتبرز هذا الملمح الإعجازي في وقت أصبحت بنا كبيرُ حاجةٍ إلى إحياء أدب الخطاب والسلوك وتجسيدهما واقعاً ملموساً في مجتمعاتنا ولاسيّما ونحن نشهد هذه الهجمة الكبيرة من البعض على مظاهر التأدّب في واقعنا وعلى رموزه قولاً وفعلاً . وفي مقدّمهم من سما في خلقه حتى وصفه الله تعالى بأنه على خلق عظيم ﴿ ﷺ ﴾ . ومن هنا تأتي أهمية الموضوع من حيث كونه دعوة إلى الالتزام بمتطلبات الأدب في الخطاب وتمثّله واقعاً في الأفعال ، والأعمال ، والسلوك، والمعاملات . من خلال الكشف عن طبيعة أدب الخطاب القرآني ونماذجه ومظاهره وأساليبه في القرآن الكريم .

وأودُّ الإشارة ههنا إلى أنني سأقتصر في بحثي هذا على تناول جانبٍ من جوانب الأدب في القرآن الكريم . وهو الأدبُ في الخطاب حسب . مستعرضاً فيه جانباً واحداً أيضاً ألا وهو أدب الخطاب القرآني فيما يخصّ الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين مع الله ﴿عزّ وجلّ﴾ ، وذلك لسعة لموضوع ، وتشعّبه وتنوع أنماطه وفقراته .

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذا الموضوع قد تمّ تناوله ، أو الحديث عنه في مؤلفات علمائنا القدامى

والمعاصرين . وفي الحقّ إنه كذلك بيد أنّ لدراستنا هذه جانبين من الجدّة ، والتميّز انمازت بهما عن الدراسات الأخرى وهي :

(١) إنّه بحثٌ في مكنونات هذا الخطاب القرآني الخاصّ مع الأنبياء﴿عليهم السلام﴾والصالحين . يعرض طريقة القرآن في صوغ هذا الخطاب . وصولاً إلى إبراز قيمه الأخلاقية ، أو مظاهر الأدب متمثّلة بطريقة منهجية في التقسيم والتبويب في حين كانَ تناول هذا الموضوع في المؤلفات التي أشارت إليه بعرض صورته ، أو الحديث عنه في الغالب في مواضع تفسير الآيات القرآنية.

(٢) استثمار الجانب اللغوي والبياني في استجلاء معاني هذا الضرب من الخطاب وإبراز دلالاته . وهو أمرٌ من غير شكّ ينطوي على كبير أهمية ؛ لما لابراز الأساليب البيانية في عرض الموضوع من أثر بليغ في تحديد الدلالات القرآنية الخاصة ، وإظهار المعاني المتعدّدة المقصودة التي تحتملها العبارات القرآنية ، ومن ثم تأثير ذلك في نفوس السامعين ، ومدارك القَرَأة والدارسين .

أسأل الله تعالى أن يُسدّد خُطانا ، وأن يمنحنا نعمة الإخلاص لوجهه الكريم . وأن يوفّقنا إلى التأدب بأدب الخطاب القرآني وتمثّله واقعاً ملموساً . والاقتداء بخلق الأنبياء والصالحين أقوالاً ، وسلوكياتٍ . والتحلّي بطيب شمائلهم ، وجميل أخلاقهم ، ومحاسن سجاياهم . إنه وليّ ذلك ، والقادر عليه وحدّه .

الدكتور مازن عبد الرسول سلمان
قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية
ربيع الثاني/ ١٤٢٩هـ – نيسان / ٢٠٠٨م

مدخل في تأصيل مفهوم ـ أدب الخطاب ـ

الأدب لغةً :

جاء في كتاب (العين) في تفسير معنى الأدب لغة : "رجلٌ أديبٌ مؤدِّبٌ يؤدِّب غيره ، ويتأدَب بغيره ، والآدِبُ : صاحبُ المأدبة ... والمأدُبة والمادَبة لغتان: دعوةٌ على الطعام"[١] . فهو إذن دعاء الناس إلى الطعام ، والآدِب : الداعي إليها[٢] .

وهو أيضاً : "أدَبُ النفسِ والدرس"[٣] ، و"حسن التناول"[٤] ، ومنه يقال للبعير إذا رُيّض وذلِّلَ : أديبٌ ، ومؤدَّبٌ[٥] .

ومن ههنا فإنَّ أصل الأدب : الدعاء ، وإنّما سُمّي الأدب الذي يتأدّب به الأديب من الناس أدباً ؛ لأنّه يأدِبُ الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح[٦]. واشتقاقُ الأدب من ذلك كأنه أمرٌ قد أُجمع عليه وعلى استحسانه[٧] . ومنه أيضاً قيل للصنع يُدْعى إليه الناس مدعاةٌ ، ومأدُبَةٌ[٨] . وهو ما فسّر به أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت٢٢٤هـ) لفظة (مأدُبة) بضمّ الدال الواردة في قول رسول الله﴿ ﷺ ﴾ : "إنَّ هذا القرآن مأدُبة الله فتعلموا من مأدُبته"[٩] ، قال: "قوله : مأدبة فيه وجهان : يُقال : مأدُبة ومأدَبة . فمن قال : مأدُبة ، أراد به الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس ... ومعنى الحديث أنّه مَثَلٌ: شبّه القرآنَ بصنيعٍ صَنَعَهُ اللهُ للناس لهم فيه خيرٌ ، ومنافع . ثم دعاهم إليه"[١٠] .

والمراد هنا على ما ذكره البخاري (ت٢٥٦هـ) : "بيان طرقه ، وأنواعه ، وما يتحقّق به"[١١] .

---

(١) العين : (أدب) : ٨٥/٨ .

(٢) مجمل اللغة (أدب) : ٩٠/١-٩١ ، ومقاييس اللغة : (أدب) .

(٣) الصحاح : (أدب) .

(٤) لسان العرب : (أدب) .

(٥) تاج العروس : (أدب) .

(٦) لسان العرب : (أدب) ، وتاج العروس : (أدب) .

(٧) مجمل اللغة (أدب) : ٩١ .

(٨) مقاييس اللغة : (أدب) ، ولسان العرب (أدب) ، وتاج العروس (أدب) .

(٩) المستدرك على الصحيحين : ٧٤١/١ ، والمعجم الكبير : ١٣٠/٩ ، ومصنف عبد الرزاق : ٣٦٨/٣-٣٧٥ .

(١٠) غريب الحديث : ١٠٤/١-١٠٨ .

(١١) الجامع الصحيح المختصر : ٢٢٢٥/٥ .

الأدب آصطلاحاً :

لم يخرج مفهوم الأدب في دلالته الاصطلاحية عن دائرة ما تأسَّس في تأصيله اللغوي مع تعدّد الحدود التي وضعت له فهو :

- " ترويض النفس على محاسن الأخلاق وفضائل الأقوال ، والأفعال التي استحسنها الشرع ، وأيّدها العقل واستعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً "[١] .
- وهو فيما نقله ابن القيّم (ت٧٥١هـ) عن عبد الله بن المبارك (ت هـ) : "معرفة النفس ورعونتها وتجنّب تلك الرعونات"[٢] .
- و"الأدبُ : اجتماع خصال الخير في العبد"[٣] ، وحقيقته "استعمال الخلق الجميل ... واستخراج ما في الطبيعة مِن الكمال من القوّة إلى الفعل"[٤] .
- وهو "عبارة عن معرفة ما يحترز عن معرفة جميع أنواع الخطأ"[٥] .
- وهو أيضاً "تعلّم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق"[٦] .
- وهو فيما نقله الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)عن شيوخه: "مَلَكَةٌ تَعْصِمُ من قامت به عمّا يشينه"[٧].
- وهو أيضاً : "رياضة النفس ومحاسن الأخلاق . ويقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل"[٨] .

هذا فيما يخصُّ الأدب مصطلحاً في وجهه العام متضمّناً سلوكيات البشر ، وسجاياهم الخلقية ، وطباعهم . ويتفرّع منه من ثمَّ مفاهيمُ أخرى خاصة للأدب – وإن لم يُصرَّح بها – نذكر منها فيما يخصّ موضوع بحثنا هذا الآتي :

أولاً : أدبٌ جعله بعض العلماء شعبة من الأدب العام ، وصُنِّفَ لديهم وكأنّه علمٌ مخصوص فيه بعضُ ملامح التقنين والتنظيم متمظهراً بالخطاب اللساني . يقول ابن القيم : "وعلم الأدب : هو علمُ إصلاح اللسان والخطاب ، وإصابة مواقعه ، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل. وهو

---

(١) الجامع الصحيح المختصر : ٢٢٢٥/٥ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبدُ وإياك نستعين : ٣٧٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٥/٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٨١/٢ .

(٥) التعريفات للجرجاني : ٢٩ .

(٦) المصباح المنير للفيومي : ٩/١ .

(٧) تاج العروس : ٢٧٦/١ .

(٨) التوقيف على مهمّات التعاريف : ٤٤ .

شعبة من شعب الأدب العام"[١].

وقد أكدّ القرآن الكريم هذا النوع من الخطاب ، وألزم عباده باتباعه . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً " (الأحزاب – ٧٠) .

ثانياً : أدبٌ خاصٌ متفرّد يكون مع الربّ (عزّ وجلَّ) في الخلق ، والخطاب يختصّ به الأنبياء الذين هم صفوة خلقه . والمختارون من بينهم لحمل الرسالات وتبليغها . وكذلك الصالحون السائرون على نهجهم ، والمقتفون أثرهم ، والمجتهدون في اتّباع آثارهم والتخلّق بخلقهم والتزام آدابهم وأوامرهم وتجنّب نواهيهم ومن ههنا فإنَّ : "الأدب مع الله حسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة ، والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء"[٢] .

وهو لا يكون عند أهل الدين والخاصّة من الخلق إلا "في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات ... وفي طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعهود ، وحفظ الوقت وقلّة الالتفات إلى الخواطر ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ، وأوقات الحضور ، ومقامات القرب"[٣] .

ولا يستقيم لأحدٍ هذا الأدبُ مع الله (عزّ وجلّ) إلا بتحقّق ثلاثة أشياء : "معرفته بأسمائه وصفاته ، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحبّ وما يكره ، ونفس مستعدّة قابلة ليّنة متهيئةٍ لقبول الحقّ علماً وعملاً وحالاً"[٤] ؛ لأنّه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائض يجب تنزيه تنزيه الألفاظ الموضوع لها عن سوء الأدب[٥] .

ومن المتحتّم لهذه الأشياء الثلاثة أن تستلزم من المتأدّب مع الله تعالى اتّصافه بالمحبّة ، وحسن الصحبة ؛ لأنَّ المحبة لله "إن صحّت تأكّدت على المحبّ ملازمة الأدب"[٦] ؛ إذ إنَّ "من تأدّب بأدب الله صار من أهل محبّة الله"[٧] . وأما الصحبة معه تعالى فلا تكون إلا "بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة"[٨] .

---

(١) مدارج السالكين : ٣٧٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه : ٣٨٧/٢ .

(٥) أنوار التنزيل : ١٣/١ ، وروح المعاني : ١٠٣/٣٠ .

(٦) مدارج السالكين : ٣٧٨/٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٣٧٦/٢ .

(٨) المصدر نفسه : ٣٩٠/٢ .

وفي الحقّ أنّ هذين المطلبين لا يمكن أن يتحققا بشكلهما الأتّم ، وصورتهما المثلى إلا مع الأنبياء ﴿ عليهم السلام ﴾ ؛ لأنهم في صحبة دائمة مع الله سبحانه ، وتواصل مستمر . لذا كان لزاماً اتّصافهم بحسن الأدب معه تعالى سلوكاً ، وخطاباً .

نخلص مما تقدّم من عرض حاولنا فيه تقديم مفهوم نستجلي فيه دلالة لفظة (الأدب) ، وتأصيل حدود معانيه إلى أنَّ الأدب

في معناه العام مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بأصل لفظة (الأدب) في اللغة ، ومعانيه التي هي : الدعوة ، وحسن التناول ، والترويض والتذليل .

من حيث إنّه ترويضٌ للنفس البشرية وتذليلها لتستدعي خصال الخير ، وتستجلب سجايا الصلاح ، وتتمثّلها سلوكاً وقولاً ، وتتخذها منهاجَ تعاملٍ ، وطريقةَ تواصلٍ ، وسبيلَ حياة .

وهو من بعدُ : ما توفرت عليه النفس البشرية من السجايا المحمودة والصفات الرفيعة ، والسلوك القويم الذي يسمو بالفرد إلى صفاء الروح والترّفع عن المذموم من الأفعال في مختلف طبائعها وسلوكياتها . ومنها التأدّب في الخطاب اللسانيّ : بانتقاء العبارات المحسّنة ، والألفاظ المزيّنة بالذوق الرفيع ، والخلق العالي المناسب للمقام ، والملائم لحال مَنْ سيُلقى إليه الكلام . ومحاولة إبعاد اللسان عن فاحش القول ، ومذموم الخطاب ، والسعي إلى إصلاح اللسان وترويضها لكل لا تقع في الزلل ، وتهوى في مدارج الخَطَل .

أولا : أدب الخطاب القرآني مع الأنبياء والصالحين :-

لمّا كان الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ صفوة الله في خلقه ، واختارهم ليكونوا منذرين ومبشرين ومبلغين لرسالاته . كان لابدَّ لهم من أن يكونوا خير الناس ، وأعلاهم أدباً ، وأسماهم شمائلَ ، وأتمّهم خلقاً .

وفي الحقُّ إنهم كذلك . ويظهر هذا جليّاً في أحوالهم ، وأفعالهم ، وخطاباتهم ، وعباراتهم التي تضمّن القرآن الكريم الكثير منها ناقلاً إيّاها ، أو حاكياً مضامينها على ألسنتهم .

ومن هنا كان لابدّ للحوار بين الله سبحانه وتعالى وهؤلاء الصفوة من الخلق أنبياءَ ﴿عليهم السلام﴾ ، وصالحين أن يكون مكتنزاً بالدرر ، ومشتملاً على روائع العبر في الأقوال والأفعال ، وبما وجه الله تعالى به رسله بالآداب الرفيعة ، والسجايا الحميدة مشرّعاً لهم السياقات الخلقية ، ومؤسِّساً للخلقِ من ثمَّ قوانين التأدب ، وقواعد الأخلاق .

أو واصفًا ملامح آدابهم العالية تلك في خطاب متميّز ، ونظم خاص . وقد شاع (الأدب) مظهراً للخطاب ، وطريقة للحوار بينهما حتى كوّن ظاهرة خاصة في القرآن عبّر عنها العلماء بعباراتٍ متعدّدة في مواضع تناولهم للآيات القرآنية التي تضمّنت عبارات التأدّب في الخطاب ، منها على سبيل المثال :

- " عادة الله تعالى "[١] .
- " الطريقة المعهودة في القرآن "[٢] .
- " طريقة القرآن "[٣] .
- " أسرار القرآن الكريم "[٤] .
- " السنّة القرآنية "[٥] .
- " العادات الشريفة التنزيلية "[٦] .
- " الآداب الشريفة القرآنية "[٧] .
- "الآداب القرآنية"[١] .

---

(١) أسرار التنزيل وأنوار التأويل : ٣٣٠ .

(٢) بدائع الفوائد : ٢٥٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٣٩/٢ ، وينظر : مدارج السالكين : ١٢/١ .

(٤) بدائع الفوائد : ٤٤٠/٢ .

(٥) إرشاد العقل السليم : ٢٩٣/٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٠٠/٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٤٤/٩ .

وقد اتخذ أدبُ الخطاب القرآني بنوعيه (القولي ، والفعلي) بين الله (عزّ وجلّ)، والأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين طريقين في عرض محتواه ، وإظهار فحواه :

أولاً : أدبٌ في خطاب الله (تعالى) مع الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ :-

وهو من أسمى أنواع الخطاب ، وأرفع درجاته ؛ لأنّه صادرٌ عن الذات الإلهية العلّية المتفرّدة في صفاتها ، فإذا تقرّر ذلك ، وهو حتماً متقرّرٌ فإنَّ من المحتّم أن يكون الأدب لازماً من لوازم هذا الخطاب الإلهيّ هذا . وَجَّههُ تعالى الى البشر عامة وإلى الأنبياء والصالحين خاصة وقد تمثّل هذا الخطاب – المتّصف بالأدب السامي – **بثلاثة أنواع :**

- النوع الأول : خطاب الله تعالى معهم يمثّل الأدبُ لازماً من لوزامه وطريقة في عرض غايته :

ومن أمثلته قوله تعالى في وصف خاتم النبيين محمد ﴿ ﷺ ﴾ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى:٣) . فهذا أنموذج للخطاب الإلهيّ المتضمن أسمى أنواع التلطّف ، وأروع معاني الأدب المتمثّل بالإكرام والإجلال بذكر المفعول ، وهو الضمير (الكاف) مع (التوديع) ، وحذفه مع (القِلى) : " وفي ذلك توجيه وإرشاد إلى أدب الكلام والخطاب فإنه لا يحسن مواجهة الشخص الذي نجلّهُ ونكرمهُ بفعل مرغوب عنه ولو نفياً"[٢] ؛ "لما في القِلى من الطّرد والإبعاد وشدّة البغض ، أمّا التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعلّ الحسّ اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة"[٣] .

وما ذاك إلا ؛ لأنَّ التوديع لا يكون إلا بين المتحابيّن . الذي من متعلقاته بقاء المودة ، ودوام الاشتياق . أمّا القِلى والترك والهجر فعلى العكس من ذلك لما فيه من البغضاء المؤذنة بتقطّع الأسباب . فانظر إلى جميل نسق الصياغة هذا عندما يوظّف المفعول المحذوف . وكأني بهذه الصياغة القرآنية تأبى أيَّ ربطٍ بين هذا الفعل الدالّ على البغض والكراهية والرسول الكريم ﴿ ﷺ ﴾ حتى ولو كان هذا الفعل منفيّاً ، وذلك إجلالاً للرسول الكريم ، ورعاية له ، وطمأنَةً لمشاعره ، وبثاً لليقين في نفسه ، ولذلك لم تقل الآية ما قلاك[٤] .

وليس بغريبٍ أن يكون للنبيّ محمد ﴿ ﷺ ﴾ عند الله سبحانه هذه المنزلة الرفيعة والحظوة الكبيرة

---

(١) روح المعاني : ٩٣/١١ .

(٢) على طريق التفسير البياني للقرآني : ٢١٢/١ .

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥ .

(٤) في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية : ١٣١ .

ليكون الخطاب معه من بعدُ مخصوصاً بجميل الأدب ليوافق رفيع مقامه ، ويلائم جليل مكانته .

- النوع الثاني : خطابٌ يشرّعُ لهم السياقاتِ الأخلاقيةِ ، ويؤسّس لها :

فالله (سبحانه وتعالى) يبيّن للأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ مسالك الأدب : القولية والفعلية . وينمّي هذه السجيّة فيهم . جاء في تفسير عبد الرزاق[١] (ت٢١١هـ) عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب ﴿رضي الله عنهم﴾ عن رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ : "أنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فَسُئل أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتبَ الله عليه إذ لم يردَّ العلم إلى الله" .

ففي ما تقدّم إشارة من الله (عزّ وجلّ) إلى نبيّه موسى ﴿ عليه السلام ﴾ بوجوب مراعاة الأدب ، والتواضع معه في لخطاب بإرجاع العلم إليه تعالى مستثمراً أسلوب العتب المفضي إلى مثل هذا السلوك القويم . وتشريع هذا النمط من الأسلوب التهذيبي .

فهو ، أي : العَتَب "دليلُ بقاء المودّة ، ودوام عقد الألفة والصحبة . والغرض منه إزالة ما في النفوس من الوحشة ؛ لأنَّ بجريانه يظهر ما في القلوب من آثار الجناية ، ويبدو ما في البواطن من تأكيد أسباب العناية إذ لولا بقاء المودّة الخفيّة لحلّت القطيعة بالكلّية،ولم يحتج إلى عتاب"[٢] .

ولهذا جاء في الخطاب القرآني مع الرسول الكريم محمد ﴿ ﷺ ﴾ آيات تتضمن هذا النمط من طرائق التعليم . ومنه قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ٤٣) وقوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ (التحريم :١) .

ومن أمثلة هذا النمط من الخطاب قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه : ١١-١٢) .

فمقام هذه الأرض المطهرّة ، والبقعة المباركة (وادي طوى) المقدّس الذي دعا فيه موسى ﴿ عليه السلام ﴾ ربّه أن يتجلى له . يقتضي هذا الفعل (خلعَ النعلين) المتّسم بالتأدب . يقول محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) : "أمره الله سبحانه بخلع نعليه ؛ لأنّ ذلك أبلغ في التواضع وأقرب إلى التشريف ، والتكريم ، وحسن التأدّب"[٣] .

ففي هذا الخطاب الإلهي لموسى ﴿ عليه السلام ﴾ إرشاد له وتوجيه إلى التزام الأدب مع الله تعالى في السلوك ؛ لكون المقام يقتضي التجرّد عمّا لا يليق بهذه الأرض المطهرّة ، والبقعة المباركة ،

---

(١) ٣٤١/٢ .

(٢) الفوائد المشوق : ٣٠٥ .

(٣) فتح القدير : ٥١٢/٣ .

علاوة على ما يقتضيه المقام من الزيادة في التواضع الذي يتطلبه الوقوف أما الله (عزّ وجلّ) لمناجاته (والله أعلم) .

- النوع الثالث : خطاب يصف حُسْنَ أخلاقهم وآدابهم :

ووصفُ الله تعالى أدبَ الأنبياء العالي ، وخلقهم الرفيع . من أسمى مراتب التكريم والتشريف وحسن الصحبة معَهَم . من ذلك قوله تعالى في نبيّه ﴿ ﷺ ﴾ حين أسرى به إلى السموات العلى وأراه ما أراه من آياته الكبرى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (النجم : ١٧) فإنَّ هذا وصفٌ لأدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ جانباً ، ولا تجاوز ما رآه . وهذا كمال الأدب . والإخلال به : أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله ، أو يتطلّع أمام المنظور . فالالتفات زيغ ، والتطلّع إلى ما أمام المنظور طغيان ، ومجازة . فكمال إقبال الناظر على المنظور : أن لا يصرفَ بصره عنه يمنة ، ولا يسرة ، ولا يتجاوزه[١] . وهو ما حدث له صلى الله عليه وآله وسلم . "وهذا غاية الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه ؛ فإنّ عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عالٍ رفيع : أن تتطلّع إلى ما هو أعلى منه وفوقه ، ألا ترى إلى موسى لمّا أقيم في مقام التكليم والمناجاة : طلبت نفسه الرؤية ، ونبيّنا لما أقيم في ذلك المقام وفّاه حقّه : فلم يلتفت بصره ، ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه البتّة ، ولأجل هذا ما عاقه عائق ، ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع"[٢] .

ومن ههنا فليس بمستعجب وصفُ ربّ العزّة حامل هذا الخلق الرفيع ، والأدب السامي ﴿ ﷺ ﴾ بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم :٤) مستدعياً حشداً من التوكيدات ، الواو ، وإنَّ ، واللام ، علاوة على وصف الخلق بالعظمة . ودعا من ثمَّ الناس جميعاً إلى الاقتداء به وبعظيم خلقه . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

ثم انظر إلى إجابة مَنْ خلقُهُ التواضعُ﴿ﷺ﴾ حين يَنسبُ تعليم الأدبُ الذي تأدّبَ به إلى الخالق سبحانه قائلاً:" أدّبني ربّي فأحسن تأديبي"[٣] ليرسخ بذلك علوّ سجايا التأدّب لديه بنسبة الفضل فيه إليه سبحانه .

---

(١) مدارج السالكين : ٣٨٢/٢ .

(٢) مدارج السالكين : ١٣٨٣/٢ .

(٣) الحديث نقله ابن السمعاني عن ابن مسعود في أدب الإملاء ، ينظر : كنزل العمال : ٥٣٤/١١ .

ثانياً : أدب في خطاب الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين مع الله (تعالى) :-

وقد حكى الله (عزّ وجلّ) هذا النوع من الخطاب على لسان الأنبياء بصوغ القرآن الكريم في ترجمةٍ أدقّ ما تكون لأقوالهم بمراعاة سمت العربية ، وسَنَنِها فيما قالوه بلغة بيانية عاليةٍ ، ولفظ معجز[١] .

وتوفيق الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين من بعدهم إلى هذا الطبع الشريف هي منزلة عالية لم يوفّقوا إليها إلا لأنّهم من أهل الهمم العالية ، والطاعات والفضائل المحمودة .

ومن مظاهر هذا النوع من الأدب في الخطاب نسبةُ الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ أفعال الخير جميعها إلى الله تعالى وإضافة أفعال الشُرّ ، أو ما يُنبئ بها إلى سائر خلقه أو بصيغة المجهول. وهم في هذا سائرون على منهج خالقهم ، ملتزمون بضوابط تشريعه لأسس الخطاب الأدبي في مواطن ذكر الخير والشر . بنسبة الخير إلى ذاته العلّية و صرف الشرّ عنه ؛ "لأنّ من عادة الله تعالى أنَّ كل ما كان منفعة ، ولذّة فإنه يضيفه إلى نفسه ، وكل ما كان ألماً فإنّه لا يضيفه إلى نفسه ، وذلك رعاية للأدب"[٢] .

يقول تعالى : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (النساء : ٧٩) ، ويقول : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً ۞ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (النساء : ٧١-٧٣) ، فالفضل مسندٌ عنده تعالى إليه باسمه الأعظم دون المصيبة وهذا لازمٌ من لوازم الخطاب لله تعالى مع أنبيائه والصالحين وسائر خلقه . جاء في تفسير أبي السعود العمادي (ت٩٥٢هـ) : "ونسبة إصابة الفضل إلى جنبات الله تعالى دون إصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية"[٣] ؛ لأن الطاعة والنعمة يحبها ويرضاها . فهو سبحانه يُحبّ أن يطاع ، ويحب أن ينعم ويحسن ويجود وإن قدّر المعصية ، وأراد المنع فالطاعة أحبّ إليه والبذل والعطاء آثر عنده؛ولهذا تأدّب العارفون من عباده بهذا الأدب ، فأضافوا إليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور إلى محلّها[٤] .

---

(١) وقضية التمام والدقّة في ترجمة القرآن الكريم لأقوال الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين أمرٌ أشار إليه ابن جني في الخاطريات : ١١٩ . ومنه قوله : " ... فجاء باللفظ عنهم أتمَّ وأدقَّ ..." .

(٢) أسرار التنزيل وأنوار التأويل : ٣٣٠ .

(٣) إرشاد العقل السليم : ٢/٢٠٠ .

(٤) شفاء العليل : ١٦٩ .

فانظر كيف يتمثّل الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ هذه العادة الرفيعة في خطاباتهم مع الخالق سبحانه . فلا يضيفون إليه من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح[١] . فهذا خليل الله إبراهيم ﴿ عليه السلام ﴾ يصوّر أروع معاني الأدب في خطابه باعتبار ما تقدّم من معنىً سامٍ بقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء : ٧٨-٨٠) . إذ لم يقل : أمرضني وإنّما أضاف المرض الذي هو نقمة إلى نفسه ، والشفاء الذي هو نعمة إلى الله تعالى، وإن كان المرض والشفاء كلّه من الله رعاية لحسن الأدب[٢] .

وإنّما لم ينسب المرض إليه تعالى ؛ لأنه "كان في معرض الثناء على الله تعالى وتقدير نعمه"[٣] ، ولأنّه أيضاً "قصدَ الذكر بلسان الشكر فلم يُضف إليه ما يقتضي الضرّ"[٤] . يقول الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) : "إن عرض الخليل ﴿ عليه السلام ﴾ في هذا المقام – والله أعلم – إظهار لسان الشكر لا إظهار لسان الشكوى ، وإضافة المرض إلى الله يكون شكوى . فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى ليكون أبلغ في الشكر"[٥] .

ومثله قول الخضر ﴿ عليه السلام ﴾ في السفينة : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (الكهف : ٧٩) ولم يقل : فأراد ربّك أن أعيبها . وقال في الغلامين ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ (الكهف : ٨٢) . فأسند العيب إلى نفسه حفظاً للأدب مع الله تعالى . يقول القرطبي (ت٦٧٢هـ) : "إنمّا أسند الإرادة في الجدار إلى الله تعالى ؛ لأنّها في أمر مستأنف في زمن طويل . فيه غيب من الغيوب فحسن إفراد هذه الموضع بذكر الله تعالى ، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالى أن يريده . وقيل : لمّا كان ذلك خيراً كلّه إضافه إلى الله تعالى ، وأضاف عَيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب ؛ لأنّها لفظةُ عيب . فتأدّب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه"[٦] .

هكذا إذن يعامل الأنبياء ﴿ عليه السلام ﴾ ربهم (عزّ وجلّ) في خطاباتهم إذ تراها كلّها مشحونة بالأدب الرفيع العالي .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٧/١١ .

(٢) ينظر : معالم التنزيل : ٤٥٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠٣/١٣ ، ومسائل الرازي وأجوبتها : ٢٥١ ، ومدارك التنزيل : ١٨٩/٣ ، وتفسير القرآن العظيم : ٤٥٠/٣ ، وأنوار التنزيل : ٢٤٢/١ ، وإرشاد العقل السليم : ٢٤٩/٦ ، وروح المعاني : ٩٦/١٩ .

(٣) مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل : ٢٥١ ، أنوار التنزيل : ٢٤٢/١ .

(٤) مدارك التنزيل : ١٨٩/٣ .

(٥) أسرار التنزيل وأنوار التأويل : ٣٣١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٣٧/١١ .

ثم انظر كيف يتمثل الرسول الكريم ﴿ ﷺ ﴾ هذا الأدب الرفيع في وصفه لربّه جلّ في علاه بقوله : "لبيك وسعديك والخير كلّه في يديك والشرّ ليس إليك"[١] . فانظر إلى لفظ المعصوم الصادق المصدّق فإنه يتضمّن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشرّ إليه بوجه ما لا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في أسمائه وإن دخل في مخلوقاته[٢] .

(١) صحيح مسلم : ٥٣٤/١ .

(٢) بدائع الفوائد : ٤٣٩/٢ .

مظاهر الأدب في الخطاب القرآني :-

القرآن الكريم خطاب استثمر اللغة في أسمى معانيها ، طريقةً لنظمها المعجز بما تضمّنه من علوّ في مراتب البيان ، ورقيّ في أساليب الفصاحة والبلاغة . وكان هذا سبباً لإمكان الخطاب القرآني من الابلاغ ، ومن ثمَّ التأثير في أذواق المخاطبين، والرقي بها نحو الغايات المطلوبة . وبذا يكون أهم أنواع الخطاب المناسب لتربية الناس وتعليمهم ، وتعديل سلوكهم[١] . فـ"القرآن العظيم هو المرجع الأساسي لضبط القيم"[٢].من حيث إنّه يرقى بالناس إلى مصافي نقاء الروح،وسمّو النفس والتّرفع عن الرذائل والتمسك بالقيم المشتركة بين جميع البشر. والدعوة إلى اجتناب كل ما يتنافى مع القيم المحمودة ، ولا تستسيغها الفطرة والعقل السليم ، ولا الشرائع السماوية ومجملها ممّا يَحطّ من قيمة الإنسان من سوء أخلاق وفساد وفاحشة وغير ذلك[٣].

ومن مظاهر الأدب الذي كشفه الخطاب القرآني ، والأخلاقيات التي أظهرها سلوكاً يدعو لتّباعه ، والتزامه منهجاً في الحياة :

(١) عدم نسبة ما يصيب الإنسان من مصائب لله تعالى ، وإنما الأدب كما تقدّم في خلق الأنبياء مع الله (عزّ وجلّ) إضافته إلى النفس أو إلى غير الله ، ونسبة الخير وحده إليه . انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص : ٤١) وقوله تعالى: ﴿وقال للذي ظنّ أنه ناج منهما أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربهّ﴾ (يوسف : ٤٢) ، وقوله تعالى :﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (الكهف: ٦٣) "وفي ذلك سرّ وهو أنَّ النعم والخير مسخّران للإنسان في أصل وضع خلقته فهما الغالبان عليه ؛ لأنهما من مظاهر ناموس بقاء النوع . وأمّا الشرور والأضرار فإنّ معظمهما ينجرّ إلى الإنسان بسوء تصرّفه وبتعرّضه إلى ما حذرته منه الشرائع ، والحكماء الملهمون فقلّما يقع فيها الإنسان إلا بعلمه وجرأته"[٤] . وهو من جميل الأدب مع الله بالاعتراف بمنته وفضله ، والقبول بحكمه أيّاً كان ، ودعوة إلى تمثّل ذلك الأدب في خطاباتنا وأقوالنا ، ما أنعم الله علينا من فضل، ومنَّ من خير . وما مستنا الضرّاء ، وحلّت علينا المصيبة .

(٢) إسناد العلم إلى الله تعالى ، وقد تقدّم آنفاً ما ذكره الصنعاني في تفسيره من عتاب الله تعالى

---

(١) الخطاب الأدبي في القرآن وسؤال الغائب عباس المناصرة ، مجلة المجتمع،العدد: ١٧٨٥، ٢٠٠٨/١/٩: ص(١).

(٢) معيارية القيم والمنهج القرآني ، محاضرة للدكتور محمد بلبشير الحسني . ألقاها في جامعة محمد الخامس في الرباط ، بتاريخ : ٢٠٠٧/٣/١٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٨٣٥/١ .

لموسى ﴿ عليه السلام ﴾ عندما نسبَ العلم إلى نفسه . ومنه قوله تعالى على لسان هود﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٣) فأضاف العلم إلى الله ونسب إليه التبليغ حسب ومنه قول يوسف ﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (يوسف : ٣٧) ومنه أيضاً : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : ١٠٩) . وفيه يقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ) "وهو من باب التأدّب مع الربّ جلّ جلله ، أي : لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء . فنحن وإن كنّا أجبنا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم من كنّا إنّما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء . المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم"[١] .

- ومن مظاهره أيضاً إنكار الفعل بإظهار العلم ، ومنه قوله تعالى على لسان المسيح ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : ١١٦) فلم يقل . لم أقله . وثمّة فرقٌ بين الجوابين في حقيقة الأدب[٢] . إذ لم ينكر القيام بالفعل بصيغة مباشرة وإنما عرض صيغته تلميحاً من خلال إظهار علم الله عزّ وجلّ به فهو عليم بما يسرّ المرء في نفسه وما يخفي .
- ومن مظاهره أيضاً عدم سؤال الله تعالى عمّا اختصّ بعلمه . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ (الأعراف : ٨٨) وقوله في الآية نفسها : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ ﴾ فيما يخص علم الساعة . وهذا من عظيم أدب رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ مع الخالق جلّ في علاه إذ نسبَ العلم إليه ، ولم يسأله عن هذا العلم على الرغم من أنَّ ثمّة من سأله عنها فـ"رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ لا يسأل ربّه علم ما يعلم هو أنّه مختصّ بعلمه"[٣] . وهذا من فرائد الأدب ، ونوادر الخلق الذي تخلّق به سيد الأنام.
- ومن مظاهره أيضاً الشكر على نعمة العلم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل : ١٥) فحمدُ داود وسليمان ﴿عليهما السلام﴾ الله على نعمة العلم هو من تمام التأدّب ، وعظيم حسن الخلق معه .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ١٥٦/٢ ، وقد خصص البخاري باباً في هذا الشأن في صحيحه سمّاه (باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم ؟ فيكل العالم إلى الله) : ٥٦/١ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٧٨/٢ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٤٠٩/٣ .

(٣) تقديم حسن الظنّ على سوء الظنّ ، أو تقديم النيّة الحسنة في طريقة الخطاب مع المقابل . ومنه قوله تعالى : ﴿سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين﴾ (النمل : ٢٧) . إذ جعل المقدّم في طريقة الخطاب مع المقابل حسن الظنّ ؛ إذ هو الأولى في التعامل مع الآخرين . حتى يثبت العكس جرياً على سنّة القرآن في الدعوة إلى تجنّب الظنّ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات : ١٢) . قال الزركشي : "متى أمكن حمل الخبر على الصدق لا يعدل عنه ، ومتى كان يحتمل ويحتمل قدَّم الصدق"[١] .

(٤) إنزال الناس منازلهم في الخطاب . مراعاةً لحسن الأدب . فخطاب الرسول الكريم ﴿ ﷺ ﴾ غير خطاب من هم دونه من البشر . قال تعالى ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾ (الذاريات : ٥١) . وخطاب الأبوين غير خطاب بقية الأهل والناس . قال تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ (الإسراء : ٢٣) واستعمال هذا الخطاب المشحون بالأدب مع الرسول الكريم ومع الأبوين من أسمى مراتب التشريف لهم ، والإعلاء لمقامهم .

(٥) مجازاة الكلام الطيب بأحسن منه ، ومن ذلك ردُّ التحية . قال تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء : ٨٦) . وقد جسّد الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ هذه السمة التعبيرية العالية بأدقّ ما يكون في خطاباتهم . وكيف لا وهم المتأدبون بأدب الله ، والملتزمون أوامره ونواهيه . فهذا خليل الله إبراهيم يطبق هذا المنهج القرآني واقعاً فَيَرِدّ السلام بأفضل من سلام المقابل . قال تعالى : ﴿ولقد جاءت رسُلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾ (هود : ٦٩) وقوله تعالى : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قوماً منكرون﴾ (الذاريات : ٢٥) .

فكان سلامهم بصيغة اسم المصدر السادّ مسدّ الفعل المستغني به عنه ، وأصله نسلّم عليكم سلاماً . وكان جوابه ﴿ ﷺ ﴾ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف . والعدو إلى الرفع بالصيغة الاسمية للدلالة على ثبات السلام لهم ، دون تجدّده وحدوثه بصيغته الفعلية – كما سيأتي لاحقاً – ليدلَ بأنه قد حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم آخذاً بأدب الله[٢] .

(٦) مراعاة مشاعر المخاطبين . بانتقاء عبارات تدلّ على اللياقة ، وتنمّ عن قيم السماحة

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٦٣/٤ .

(٢) الكشاف : ٦/١ ، وينظر : مدارك التنزيل : ١٧٩/٤ .

والتسامي عن تقريع المخاطبين ، والمسّ بمشاعرهم .

ومنه الخطاب الرفيع ليوسف ﴿ عليه السلام ﴾ مع أخوته بقوله ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ (يوسف : ١٠٠) ولم يقل : من الجبّ . مع أنّ موقف الرمي في الجبّ أصعب من السجن ، والخروج منه أصعب من الخروج من السجن لما فيه من إشعار بتقطّع الأسباب وجهل ما يؤول إليه المصير ، والهلاك المحدق بالحالة ، وذلك توخياً لحفظ الأدب مع أخوته ولكي لا يخجلهم بما جرى له في غيابة الجب[١] . لما في ذكر الجبّ من تجديد فعل أخوته وتقريعهم بذلك ، وتجديد تلك الغوائل[٢] . وقال أيضاً ﴿ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ (يوسف : ١٠٠) "ولم يقل : رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدباً معهم"[٣] .

(٧) الإعراض عن اللغو ، وعن كل كلام لا نفع فيه ، ولا طائل منه ، ولا جدوى من التحدث به . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون : ٣) وقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ (الفرقان : ٦٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ (الفرقان : ٧٢) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (القصص : ٥٥) .

(٨) عدم التصريح بذكر المسيء ، وإنّما الإشارة إليه إمّا تلميحاً ، أو إدخاله في ضمن مجموعة مرتكبي فعل الإساءة . أو عن طريق صيغة الالتفات ومن ذلك قوله تعالى في سرد قصّة يوسف ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ (يوسف : ٢٦) . فأدخله في جملة الكاذبين ، ولم يواجهه بالكذب بطريقة مباشرة[٤] . بقوله : فصدقت وهو كاذب مثلاً . وهذا المظهر العالي من أدب الخطاب نجده منهجاً مطبّقاً في خلق رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ فكان "إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا"[٥] .

(٩) القبول بحكم الله تعالى وعدم الاعتراض . وهو ما جعله ابن القيم رأس الأدب مع الله تعالى قال : " فرأس الأدب معه : كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقّي خبره بالقبول ، والتصديق

---

(١) مدارج السالكين : ٣٨٠/٢ .

(٢) البرهان : ٦١/٤ .

(٣) مدارج السالكين : ٦١/٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٦٣/٤ .

(٥) سنن أبي داود : ٦٦٥/٢ .

دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً ، أو يحمله شبهة ، أو شكاً ، أو يقدّم عليه أراء الرجالات وزبالات أذهانهم فيوحده بالتحكيم ، والتسليم ، والانقياد ، والإذعان"[١] . ومن أمثلته قول المسيح ﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة : ١١٨) . فقال : فإنك أنت العزيز الحكيم ، ولم يقل : الغفور الرحيم . وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى فإنه قاله وقت غضب الله (عز وجلّ) على قومه وأمْرِهِ بالقائهم في النار . فليس هو مقام استعطاف ، ولا شفاعة بل مقام براءة منهم . فلو قال (فإنّك أنت الغفور الرحيم) لأشعر باستعطافه ربّه على أعدائه الذين قد أشتد غضبه عليهم فالمقام مقام موافقة للربّ في غضبه على من غضب الربّ تعالى عليهم ، فعدلَ عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزّة والحكمة المتضمّنتين لكمال القدرة ، وكمال العلم . وهذا من جميل الخضوع إلى الله ، والانقياد لأمره ؛ لأنَّ المعنى : إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة ، والعلم وليست عن عجز عن الانتقام منهم ، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم. وهذا ؛ لأنَّ العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه ولجهله بمقدار إساءته إليه . والكمال : هو مغفرة القادر العالم وهو العزيز الحكيم . وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب[٢] .

(١٠) طلب الحاجات من الله بإظهار فضله . عن طريق التعريض ، وعدم التصريح بالمطلوب منه (تعالى) بطريقٍ مباشر . وهذا من أعظم الأدب معه تعالى ، وألطف نماذج التذلّل ، والخضوع إليه . ومنه قول موسى ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص : ٢٤) ولم يقل : ربِّ أطعمني ، وكذلك قول أيوب ﴿ عليه السلام ﴾:﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٣) ولم يقل : فعافني ، واشفني[٣] . وما ذاك – فيما يبدو – إلا لأنهما ﴿عليهما السلام﴾إنّما يعلمان أنّ ثمّة حكمة ما يعلمها الله (عز وجل) ألجأتهما إلى هذه المواقف الصعبة .

---

(١) مدارج السالكين : ٣٨٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٠/٢ .

أساليب عرض القرآن لكريم لصيغ أدب الخطاب :-

الأسلوب : هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه ، واختيار ألفاظه . أو هو المذهب الكلاميّ الذي انفرد به المتكلّم في تأدية معانيه ، ومقاصد من كلامه[١] .

ومن ههنا فإنَّ اللغة العالية للقرآن الكريم ، والطريقة الخاصة في نظم ألفاظه، وصوغ عباراته هي التي جعلته خطاباً ذا أسلوبٍ خاصٍّ ليؤدي به من ثمَّ إلى التأثير الذي يسمو به إلى مصافي الإعجاز والتفرّد . لما احتواه من مسحةٍ لفظية خلابة ، وجودة في السبك أخّاذة تتجلى في سمته اللغوي ، وقوانينه التركيبية ونظامه الصوتي، وترابط أجزائه ، وتماسك ألفاظه ومفرداته وجملهِ وآياته وسوره. وبراعته في تصريف القول ، والانتقال من مقصد إلى مقصد، وإيراد المعنى الواحد بألفاظ وطرق مختلفة. ما بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار وحضور وغيبة ، وخطاب ومضيّ وحال واستقبال، وتقديم وتأخير، ووعد ووعيد، وحقيقة و مجاز،وكناية وتصريح، وجمع وإفراد. وغير ذلك من ضروب التصرّف ، والافتنان التي تظهر ملامح إعجازه الأسلوبي[٢] .

وقد استثمر الخطاب القرآني صيغاً لغوية وتركيبية ، وأخرى بلاغية بيانية في إظهار دلالات الآيات المتضمّنة لمظاهر التأدّب فيها وعلى نحوٍ ممّا يأتي :

أولاً : الأساليب اللغوية التركيبية :

(١) التقديم والتأخير :

وهو من الأبواب التي تظهر فيه قدرات المتكلّم ، ومكنته في الفصاحة والبيان والتصرّف في وجوه القول وأفانين الخطاب . جاء في دلائل الإعجاز "هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسِن ، واسع التصرّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يَفْترُّ لك عن بديعه ، ويُفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقكَ ولَطُف عندك ، أن قُدّم فيه شيء وحوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان"[٣] .

ويقول الزركشي (ت٧٩٤هـ) "هو أحد أساليب البلاغة ، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنّهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقيادهم لهم ، وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق"[٤] . ولهذا استثمره الخطاب القرآني في عرض ملامح الأدب فيه . من ذلك تقديم (أفعال الخير والرحمة) عند

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢١٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٤/٢-٢٢٩ .

(٣) دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

(٤) البرهان : ٢٣٣/٣ ، وينظر : البلاغة والتطبيق : ١٤٤ .

الله تعالى على (أفعال الشرّ والعذاب) فالله سبحانه حيث يذكر (الرحمة ، والعذاب) فإنه يبدأ بذكر (الرحمة) كقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ (البقرة:٢٨٤)[١] ، وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت : ٤٣) وقوله : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ (غافر : ٣) . وعلى هذا جاء قول النبي ﴿ ﷺ ﴾ حكاية عن الله تعالى : ﴿إن رحمتي سبقت غضبي﴾[٢] . ومنه قوله تعالى على لسان الخضر ﴿ عليه السلام ﴾ في حديث السفينة : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (الكهف : ٧٩) . فجملة (فأردت أن أعيبها) متفرعة على كل من جملتي (فكانت لمساكين) و(كان وراءهم ملك) فكان حقّها التأخير عن كلتا الجملتين بحسب الظاهر ولكنّها قدمت خلافاً لمقتضى الظاهر لقصد الاهتمام والعناية بإرادة إعابة السفينة حيث كان عملاً ظاهره الإنكار ، وحقيقته الصلاح زيادة في تشويق موسى ﴿ عليه السلام ﴾ إلى علم تأويله ؛ لأنّ كون السفينة لمساكين مما يزيد السامع تعجبّاً في الإقدام على خرقها[٣] .

ومن مظاهره أيضاً تقديم فعل البشر في مواطن الشرّ، وتقديم فعل الله سبحانه في مواطن الخير. قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف : ٥) فقدّم فعل البشر ، في حين قال في فعل التوبة : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ﴾ (التوبة : ١١٨) فقدّم فعله (جلّ وعلا) [٤] .

(٢) الحذف والذكر :

وهو بابٌ دقيق المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصَّمتَ عن الإفادة ، أزيد للإفادة . وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ[٥]. وقد استثمره الخطاب القرآني أسلوباً في عرض هذه السجية الجليلة (الأدب) وذلك عن طريق حذف (الفاعل)،أو طويه،والإتيان (بالفعل مبنياً للمفعول) ؛ذلك أنَّ " الطريقة المعهودة في القرآن الكريم هي أنَّ أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى فيذكر فاعلها منسوبةً إليه ولا يبنى الفعل معها للمفعول أدباً في الخطاب"[٦] .

ومن ذلك قوله تعالى في (الفاتحة :٧) ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ . "

---

(١) وينظر : آل عمران : ١٢٩ ، والمائدة : ١٨ ، والفتح : ١٤.

(٢) البرهان : ٦٣/٤، والتعبير القرآني: ٥٨ ، والحديث في صحيح البخاري: ٢٧٠٠/٦ ، ٢٧١٢ ، ٢٧٤٥ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٥٦٨/١ .

(٤) البرهان : ٦٠/٤ .

(٥) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

(٦) بدائع الفوائد : ٢٥٦/٢ .

فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه والضلال منسوباً إلى من قام به ، والغضب محذوفاً فاعله"[١] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (البقرة : ١٨٧) وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ . . . ﴾ (المائدة : ٣)، وقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . . . ﴾ (النساء : ٢٣) وحين جاء لذكر الحلال صرّح بذكر أسمه (جلَّ وعلا) مع ما أحلّ قال : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وأضمره مع المحرَّم من الفعل . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (الحجرات : ٧) .

وهو ما تمثّله الصالحون من خلقه من بعد في إضمار اسمه تعالى ، وذكره حين يقتضي المقام ذلك ويناسبه السَياق . انظر إلى قول مؤمني الجنّ : ﴿وإنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رشدا﴾ (الجن : ١٠) كيف حذفوا الفاعل في إرادة الشرّ ، وصرّحوا به مع الرَّشد بإضافة إرادة الرشد إليه تأدّباً مع الله[٢] .

(٣) الاستفهام :

وهو طلبُ العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، وقيل إنّه الاستخبار : الذي هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر . ومنهم من فرّق بينهما وقال : إنَّ الاستخبار ما سبق أولاً ، ولم يفهم حقّ الفهم ، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ (البقرة : ١٥٥) فمقصود الاستفهام في قوله (أتهلكنا) : الجحد (النفي) والمعنى : لست تفعل ذلك وهو كثير في كلام العرب . وقيل معناه الدعاء والطلب بعدم الهلكة ، والمعنى : لا تهلكنا . وقد علم موسى ﴿ عليه السلام ﴾ أن الله لا يهلك أحداً بذنب غيره، ولكنه كقول عيسى ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة : ١١٨) [٤] فلم يطلب يطلب من الله تعالى عدم القيام بفعل الإهلاك مباشرة وإنّما عن طريق الاستفهام الذي يندرج في أساليب النفي .

ومن ذلك قول الحواريين لموسى ﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (المائدة :

---

(١) المصدر نفسه : ٤٤٠/٢ ، وينظر : شفاء العليل : ٢٧٠/١ .

(٢) بدائع الفوائد : ٤٤٠/٢ ، والبرهان : ٦١/٤ .

(٣) ينظر : الصاحبي : ١٨١ ، والبرهان : ٣٢٦/٢ ، والبلاغة والتطبيق : ١٣١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٩/٧ .

١١٢) جرياً على "طريقة عربية في العرض والدعاء . يقولون للمستطيع لأمرٍ : هل تستطيع كذا ؟ على معنى تطلب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك وأن السائل لا يحبّ أن يكلّف المسؤول ما يشقّ عليه ... فليس قول الحواريين المحور بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدلّ على التلطّف والتأدّب في السؤال كما هو مُناسب أهل الإيمان الخالص"(١) .

(٤) الاستثناء :

عرّفه فخر الدين الرازي بأنه "ما لا يدخل في الكلام إلا لإخراج بعضه بلفظه، ولا يستقلّ بنفسه "(٢) . وذكر الأشموني أنه : " الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً أو منزّلاً منزلة الداخل "(٣) .

وقد استثمر الخطاب القرآني هذا الأسلوب النحويّ في إظهار الأدب الخاصّ الذي إنماز به أنبياء الله ﴿ عليهم السلام ﴾ من ذلك قول شعيب ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً علماً﴾ (الأعراف : ٨٩) فهذا تأدّب مع الله عزّ وجلّ استثمر أسلوب القصر (الاستثناء المفرّغ) ليثبت تفويض أمر المؤمنين إليه ، أي : لا يكون العَوْد إلى الكفر وإلى ملّتكم إلا أن يقدّر الله وفيه " تقييد عدم العود إلى الكفر بمشيئة الله وهو يستلزم تقييد الدوام على الإيمان بمشيئة الله ؛ لأن عدم العود إلى الكفر مساوٍ للثبات على الإيمان . وهو تقييد مقصود منه التأدّب وتفويض العلم بالمستقبل إلى الله"(٤) .

(٥) الجمع والإفراد :

فالخطاب القرآني يشير إلى المذنبين والمرتكبين لأفعال الشرّ بصيغة (الجمع) عندما يقتضي السياق ذلك ؛ وذلك حين لا يكون الفعل قد أُثبت على الفاعل ، وإنّما يطلق على سبيل الظنّ . يقول الزركشي في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (النمل : ٢٧) : "لم يواجهه بالكذب بل أدمجه في جملة الكذّابين أدباً في الخطاب"(٥) .

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ (يوسف : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (النور : ٧) وفي كلا الموضعين يقتضي

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢٣٣/١ .

(٢) المحصول : ٣٨/٣ ، وينظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء : ٩٦ .

(٣) شرح الأشموني : ٢٩٥/٢ ، وينظر : معجم مصطلحات النحو والصرف والعرض والقافية: ٥٨

(٤) التحرير والتنوير : ١٥٩١/١ .

(٥) البرهان في علوم القرآن : ٦٣/٤ .

السياق الإفراد ليوافق الإفراد في (صدقت) في الآية الأولى و(عليه) في الآية الثانية ، لكنّه اختار الجمع على الإفراد ؛ لأنّه في مجال الظنّ وعدم إثبات تهمة الكذب ، ولا يصدق مع هذا إلقاء التهمة إليه مباشرة (والله تعالى أعلم) .

(٦) الجملة الاسمية والجملة الفعلية :

الجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام والتقرّر ، والجملة الفعلية تدلّ على التجدد والحدوث[١] . وقد تقدّم كيف استثمر الخطاب القرآني الصيغة الاسمية ليظهر سمة من سمات الأدب في الخطاب المتمثّل بردّ التحية بأحسن منها في قول الخليل ﴿ عليه السلام ﴾ ﴿ قَالُواْ سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ﴾ (هود : ٦٩) حين جعل ردّ السلام بالصيغة الاسمية (المبتدأ سلامٌ وخبره المحذوف المقدّر بهو) التي تدل على الثبوت والدوام ، في حين كان سلام الضيوف بالصيغة الفعلية بنيابة اسم المصدر (سلاماً) عن فعله (سلّم ، أو نسلم) الدالّة على الحدوث والتجدّد . ولهذا كان سلامه عليهم أكمل ، وأبلغ من سلامهم عليه[٢] آخذاً بأدب الله تعالى المأمور به في قوله : ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[٣] (النساء : ٨٦) .

(٧) التعريف والتنكير :

النكرة " ما تقبل أل وتؤثر فيه التعريف ، أو واقعة موقع ما يقبل أل "[٤] . والغرض من التعبير بالنكرة كما هو معروف الدلالة على العموم والشيوع . ولذلك يؤتى بها حين يكون الكلام عن قضية عامة أو جنس[٥] .

وحين ننعم النظر في أدب الخطاب القرآني نراه يتمثّل هذا الأسلوب ، أعني : اللجوء إلى التنكير طريقاً لعرض هذه السجيّة المحمودة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء : ٨٦) فجاء بذكر التحية بصيغة التنكير والدرس : ردُّ التحية بأحسن منها ، أو مثلها أيّاً كانت هذه التحية . وهذا من جميل أدب الإسلام العظيم الذي يربي النفوس على الصفاء والمحبة[٦] .

---

(١) ينظر : بدائع الفوائد : ١٥٧/٢ ، والتعبير القرآني : ٢٧ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٦/١ ، وبدائع الفوائد : ١٥٧/٢ ، وفتح القدير : ١٢٤/٥ .

(٣) مدارك التنزيل : ١٧٩/٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٧١١/١ .

(٤) شرح ابن عقيل : ٨٦/١ .

(٥) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم : ٣٩٩ .

(٦) المصدر نفسه : ٤٠٠ .

ويحسن بنا في هذا المقام تمثّل النبيّ محمد ﴿ ﷺ ﴾ لهذا النمط من أدب الخطاب القرآني في حديث الشفاعة[١] إذ ورد لفظ الحديث الشريف في صحيح البخاري(مقاماً محموداً) بلفظ التنكير . نُقل عن الزجاج (ت٣١١هـ) أنه قال جيءَ به منكّراً تأدّباً مع القرآن ومحافظة على حكاية لفظه في قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ (الإسراء : ٧٩) [٢] . وذكر النووي (ت٦٧٦هـ) أنَّ "سؤال هذا المقام مع إنه موعود به إنّما هو إظهارٌ لشرفه ﴿ ﷺ ﴾ وكمال منزلته وعظيم حقّه ورفع ذكره وتوقيره"[٣] .

ثانياً : الأساليب البلاغية :

(١) الكناية :

وهي أن يريد المتكلم إثباتَ معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة . ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه[٤] . ومن أساليب أدب الخطاب القرآني اللجوء إلى الكناية بدلاً عن التصريح في المواطن التي تتطلب ذلك ، ومن ذلك الأمور التي تخصّ العلاقات الزوجية . فمن "عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس والملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهنّ"[٥] .

قال ابن عباس : "إنَّ الله حييّ كريمك يكني كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث"[٦] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ (النساء : ٢٣) ، وقوله : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ (النساء : ٤٣) ، وقوله : ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ (البقرة : ٢٣٦) ، وقوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (البقرة : ١٨٧) فجاء بهذه الألفاظ الإفضاء ، والملامسة ، والرفث كناية عن الجماع ؛ لأنَّ في ذكرها ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بفاعل[٧] . ومنه

---

(١) قوله ﴿ ﷺ ﴾ : "من قال حين يسمع النداء : اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي" صحيح البخاري: ٢٢٢/١ ، ٥٣٦/٢ ، ١٧٤٨/٤ .

(٢) المطلع على أبواب الفقه : ٥٣ .

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) : ٥٤ .

(٤) دلائل الإعجاز : ٦٦ ، وينظر : البلاغة والتطبيق : ٣٦٩ .

(٥) البرهان في علوم القرآن : ٣٠٣/٢ .

(٦) معالم التنزيل : ٢٠٦/١ .

(٧) الكشاف : ١١٤/١ ، وبدائع الفوائد : ٢٥٦/٢ . والإتقان في علوم القرآن : ١٢٩/٢ .

أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ ﴾ (النساء : ٤٣) .

(٢) إسناد الفعل إلى ما ليس له على طريق المجاز العقلي :

وممّا ورد في القرآن الكريم جرياً على هذا الأسلوب في الخطاب المتضمّن لسجايا الأدب الخاصّ . قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ ﴾ (يونس : ٢١) قال أبو السعود (ت٩٥١هـ) : "من بعد ضرّاء مستهم ، أي: خالطتهم حتى أحسّوا لسوء آثارها . وإسناد المساس إلى الضرّاء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية"[١] .

(٣) الالتفات :

و"هو أن تذكر الشيء وتتمّ معنى الكلام به ، ثم تعودَ لذكْره كأنّك تلتفت إليه[٢]. وهو بهذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً واستدراراً للسامع وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه[٣] . ومن فوائده تطرية الكلام وصيانة السمع السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد[٤] .

من أمثلته قوله تعالى على لسان الرجل الصالح : ﴿ وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس : ٢٢) "والأصل (وإليه أرجع) فالتفتَ من التكلم إلى الخطاب ، ونكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطّفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخوفيهم ودعوتهم إلى الله"[٥] .

فالالتفات من التكلّم إلى الخطاب وجهه حث السامع،وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلّم عليه وأعطاه فضل عنايةِ تخصيصٍ بالمواجهة[٦].وهو أمر ينطوي على جميل الأدب في الخطاب مع المقابل لما فيه من الإقبال.والعناية والاهتمام بالمخاطب بتوجيه قلبه نحو التلقي، والإصغاء.

(٤) تجاهل العارف :

---

(١) جامع البيان:١٦٧/٢،وأنوار التنزيل:٤٨٦/١،إرشاد العقل السليم :١٣٣/٤،وينظر:روح المعاني: ٩٣/١١

(٢) فقه اللغة وسرّ العربية : ١٣٩٥ ، وينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٤٠٣/٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٣١٤/٣ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن : ٢٢٩/٢ .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٦) الإتقان في علوم القرآن : ٢٢٩/٢ .

وهو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة[١] . أو إقامة المعلوم مقام غيره لنكتة[٢]. كالتوبيخ ، والتحقير ، والتعريض ، والمبالغة في المدح .

ومنه قول الله تعالى على لسان نبيّنا ﴿ ﷺ ﴾ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ : ٢٤) فلجأ إلى إظهار عيب المخالفين تعريضاً ومن طرف خفيّ وإلا فهو في الأصل عارف بضلالهم وهداه . وفي هذا سموّ في الخلق ، وعلوّ في الأدب بعدم المواجهة إلا بيسر وتلطّف ، وفسح المجال أمامهم للدخول في الحوار والتفكّر . بلين ورفق ، وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة من حيث إنه يبعث المشركين على التفكّر في حالة أنفسهم وما هم عليه من ضلالة ، وحال النبيّ والمؤمنين وما هم عليه من هدى وخير . وبعثهم ذلك على الدخول في الإسلام[٣] .

وفي الختام فإن هذا البحث دعوة إلى تمثّل أدب الخطاب في القرآن الكريم بين الله (سبحانه) ، وأنبيائه ﴿عليهم السلام﴾ والصالحين من خلقه بما اشتمل من معانٍ عالية ، وسمات عظيمة ، وشمائل كبيرة ، في خطاباتنا ومعاملاتنا وأفعالنا مع الآخر. ورحم الله القائل[٤] : نحن إلى قليل من من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٥١/١ ، والتعريفات : ٧٣/١ .

(٢) التوقيف على مهمات التعريف : ١٦٠/١ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٥٢/١ .

(٤) هو عبد الله بن المبارك . ينظر : مدارج السالكين : ٣٧٦/٢ .

المصادر والمراجع

القران الكريم

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط٣ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

-الاستغناء في أحكام الاستثناء ، لشهاب الدين القرافي (ت٦٨٢هـ)، تحقيق : طه محسن ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

-أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، لفخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)تحقيق:محمود أحمد محمد، وبابا علي الشيخ عمر،وصالح محمد عبد الفتاح،دار واسط للنشر المحرم١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) لعبد الله بن عمر (ت٧٩١هـ)،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

-الإيضاح في علوم البلاغة ، لمحمد بن سعد الدين القزويني (ت٧٣٩هـ) ، دار إحياء العلوم ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٩٨م .

-بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر (ابن القيم الجوزية)(ت٧٥١هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد،الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ،الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦

-البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤٨هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ .

- البيان القرآني ومسائل ابن الأزرق دراسية قرآنية لغوية بيانية د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، القاهرة .

-البلاغة والتطبيق ، الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتور كامل حسن البصير .

-تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)

- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ) ،تحقيق : عبد الغني الدقر ، ط١، دار القلم - دمشق، ، ١٤٠٨ هـ .

-التحرير والتنوير،للشيخ محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)الدارالتونسية للنشر،١٩٨٤م .

-التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٨٦هـ - ١٩٨٧م .

- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت٦١٨هـ)تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، ط١، بيروت ،١٤٠٥ هـ.

-تفسير عبد الرزاق ، للإمام المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) ،تحقيق : الدكتور محمود محمد عبدة ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

-تفسيرالقرآن العظيم،لإسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ)،دارالمعرفة -بيروت،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي،تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ط١ ، دار الفكر - بيروت ، دمشق ، ١٤١٠ .

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، ط٢ ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م .

-الجامع الصحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

-الجامع الصحيح المختصر ،لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق أحمد عبد العليم ، دار الشعب ، ط٢ ، ١٣٧٢هـ .

-الخاطريات ، لابي الفتح عثمان ابن الجني حققه وعلق عليه :- علي ذوالفقار شاكر . دار الغرب الاسلامي ، ط١، ١٤٠٨- ١٩٨٨ م .

-الخطاب الأدبي في القرآن وسؤال الغائب ، عباس المناصرة ، مجلة المجتمع ، العدد : ١٧٨٥ ، ٢٠٠٨/١/١٩.

-دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١او ٤٧٣) تحقيق :- محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة . ط٥ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،لشهاب الدين محمود الألوسي (١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، المكتبة العصرية ، بيروت .

- شرح إبن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري الهمذاني (ت٧٦٩هـ) ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢، دار الفكر- دمشق، ١٩٨٥ م.

- شرح الأشموني(ت ٩٠٠هـ)على ألفية ابن مالك،المسمى(منهج السالك الى ألفية ابن مالك) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٣، مكتبة النهضة المصرية.

- شرح قطر الندى وبل الصدى لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ،تحقيق

: محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط١١، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لمحمد بن أبي بكر (ابن القيم الجوزية) ،تحقيق:محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي،دار الفكر- بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- الصحاح للجوهري ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٣٧٥ هـ- ١٩٥٦ م .
-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
-صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
-على طريق التفسير البياني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، منشورات جامعة الشارقة.
- العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ،تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ،الناشر:ط١، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٩٦هـ .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) .
- فقه اللغة وسر العربية ،لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ) مكتبة الحياة- بيروت.
- الفوائد المشوق الى علوم القران وعلم البيان، المنسوب خطأ الى ابن القيم، وهو مقدمة تفسير
- تحريرالتحبير لأقوال ائمة التفسير لابن النقيب ، حققه :- جماعة من العلماء ، ط١ ، دار الكتب العلمي - بيروت لبنان ١٤٠٢- ١٩٨٢ م.
- في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، سعد أبو الرضا ، منشأة المعارف ،الاسكندرية - مصر .
-في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ط٣٥ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
-القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة فن الطباعة ، مصر، ١٩١٣ م.
-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ،لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م .
- لسان العرب ، لآبن منظور المصري(٧١١هـ)، ط١، دار صادر- بيروت.
-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ، ١٩٩٥ م.

-مجمل اللغة ، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلمان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- المحصول في علم أصول الفقه ، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ١٤٠٠ هـ .

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر (ابن القيم الجوزية) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ، لعبد الله بن أحمد النسفي (ت٧٠١هـ) ، ضبطه الشيخ محمد رمضان ، دار القلم – بيروت ١٤٠٨هـ -١٩٨٩م.

-مسائل الرازي وأجوبتها في غرائب آي التنزيل ، محمد عبد القادر الرازي (كان حياً سنة ٦٩١هـ) تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط١، سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م .

- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت٧٧٠هـ) ،المكتبة العلمية – بيروت .

- مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط٢ ،المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٤٠٣ هـ.

- المطلع على أبوب الفقه ، لمحمد بن أبي الفتح الحنبلي، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ،المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.

-معالم التنزيل ، للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) تحقيق : خالد العك ،ومروان سوار، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٧هـ -١٨٨٧م.

-المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني(ت٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ،ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م.

-معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية ،للدكتور محمد ابراهيم عبادة ،ط٢ ، كلية الاداب ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

- معيارية القيم والمنهج القرآني ، محاضرة للدكتور محمد بلبشير الحسني ، ألقاها في جامعة محمد الخامس في الرباط ، بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٨.

-مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق .

- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر.

- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني،تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، ط١ ،

دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٦ .

– النحو الوصفي من خلال القران الكريم ، الدكتور صلاح الدين مصطفى ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ .